

الرَّسَالَة ٢٨

أَمَا يَكْفِي السُّلُوكُ الْحَسَنُ لِنَدْخُلَ السَّمَاءَ؟

(Arabic - Isn't it enough to live a good life?)

حلقة جديدة من سلسلة : سؤال حيرني وجواب أفنعي .
وسؤال هذه الحلقة : أما يكفي السلوك الحسن لندخل السماء؟
يجيبنا على هذا السؤال: Cliffe Knechtle¹
في كتابه : Give me an answer that satisfies my heart and my mind.
وقد حصلنا على تصريح كتابي من الناشر بالترجمة إلى اللغة العربية.

لقد وجّه إلى كثيرين هذا السؤال في صيغ مختلفة وفي الغالب يأتيني بصيغة كهذه: لقد عاش MAHATMA GANDHI حياة عظيمة تتحلى بأخلاق حميدة.. عاش غاندى حياة فاضلة جداً تفوق التصور وأنت تريد أن تفنعي أنه الآن في الجحيم لمجرد أنه لم يتبع يسوع المسيح؟! أوليس الناس الطيبون ذاهبين إلى السماء؟. وإجابتي عليهم دائماً بسيطة وبنفس الطريقة: لست أرى إذا كان غاندى سيكون في السماء أو في الجحيم.. فليس لدى إجابة على هذا السؤال.. والسبب هو أنني لست أعلم مدى استجابة غاندى ليسوع المسيح قبل اغتياله.. ولكن هناك بعض الأمور أعلمها.. وهو أنه قبل خمس عشرة سنة من موته الفجائي كتب غاندى هذه الكلمات: يجب أن أخبركم وبكل تواضع أن الهندوسية على قدر علمي بها قد أشبعت احتياج نفسي تماماً وغمرت كياني بالكامل.

كما قال غاندى لقد وجدت تعزية في Upanishads and Bhagavad-Gita. (وهي مناظرات في الديانة الهندوسية) لم أجد ما يُماثلها ولا حتى في الموعظة على الجبل. إن غاندى قبل وفاته بقليل كتب شيئاً آخر يختلف عما كتبه سابقاً.. لقد كتب هذه الكلمات: إن أيامي معدودة وأظنني لن أعيش طويلاً.. ربما لسنة أو أكثر بقليل. ولأول مرة منذ خمسين سنة أجد نفسي في بالوعة اليأس فكل ما حولي ظلام وأصلى عسى أن يدركني النور.

لقد ذكر يوحنا البشير في إنجيله قول الرب يسوع: "أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشى في الظلمة بل يكون له نور الحياة". وصلاتي أن يكون غاندى قد وجد نور العالم يسوع المسيح. إنني أجب دائماً على الأسئلة المختصة بالحياة الطيبة التي لا نرى عباراً عليها بالقول لصاحبها: أخي إنك لست بحاجة إلى أن تقبل المسيح.. طالما أنت تعيش بكمالك لا ترتكب إثماً أو معصية وتسير وفق وصايا الله ولا تحيد عنها.. فبناءً عليه أنت لست محتاجاً إلى غفران خطايا. أهنئك. لست أمزح أو أتفكه عندما أجب بهذا الأسلوب ولكني أحاول أن أكون مترفقاً بقدر الأمكان فليس باستطاعة أحد أن يخدع الله.. ومن المحال أن يدعي واحد فينا أنه يعيش حياة الكمال المطلق.^١

وبإنجيل مرقس الاصحاح الثاني عشر يشرح السيد المسيح كيف نحيا الحياة الكاملة بقوله: "تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك. هذه هي الوصية الاولى. وثانية مثلها هي تحب قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين". هذا ما يجب أن نعمله كي ندخل السماء.. فإذا كان في استطاعتنا أن نتمم هاتين الوصيتين تماماً دون أى خطأ أو عجز أو تقصير حينئذ يمكننا أن نحقق خلاصنا بأنفسنا ولكن هيهات! ولهؤلاء الذين يصرون على القول بأنه ليس مطلوباً منا لندخل السماء أكثر من سلوك حسن وفق قواعد اخلاقية نتفق عليها أحكى لهم قصة شهيرة في الكتاب المقدس جاءت بإنجيل متى الاصحاح التاسع عشر.^٢

هذه القصة عن شاب غني أحرز كل شيء تمناه لنفسه ويتمناه أي شاب ويحلم به وهو المال الوفير والممتلكات الواسعة والمكانة الاجتماعية المرموقة واحترام الناس له وتقدير المجتمع الذي يعيش فيه وربما وصل إلى كل ما وصل اليه بأمانة كاملة لا يشوبها غش أو خداع.. جاء هذا الشاب يوماً إلى يسوع يسأله: "أيها المعلم

^١ استمع إلى الإنجيل

^٢ إنجيل يوحنا ٨: ١٢

^٣ إنجيل مرقس ١٢: ٣٠ - ٣١

إنجيل متى ١٩: ١٦ - ٣٠

الصالح أى صلاح أعملُ لتكونَ لى الحياة الأبدية؟" .. ولكن إجابة يسوع لا بدّ أنّها أدهشت الشاب إذ قال الربّ له: "لماذا تدعونى صالحاً؟. ليس أحدٌ صالحاً إلا واحدٌ وهو الله" .. إن يسوع بهذا حدّد ما هو الصلاح .. إن الله وحده مُستحقٌ لهذا اللقب ومنّ منّا باستطاعته أن يعترض؟. فليس أحدٌ صالحاً إلا واحدٌ وهو الله .. أوليس هذا حقاً؟^١

إنّهم يجاهرون بأنّه للحصول على الخلاص فنكف الانسان إلا أن يكون صالحاً .. فمن أين يأتى الصلاحُ وقد قال الربّ يسوع أنه لا صلاح ولا كمال إلا الله وحده؟.. ثمّ قال لذلك الشاب: "احفظ الوصايا لا تقتل .. لا تزنى .. لا تسرق .. لا تشهد بالزور .. أكرم أباك وأمك وأحبّ قريبك كنفسك" .. بلا شك فرح الشاب للحظة وهو يفكرُ فى نفسه: ما أسعدنى من رجل .. إننى أتممتُ كلّ هذا!! وأجاب الشاب على التوى: "هذه كلها حفظتها منذُ خدائتى" ..

لقد قال الربّ يسوع لذلك الشاب الغنى: "إن أردت أن تكون كاملاً فأذهب وبع أملكك وأعط الفقراء وتعال اتبعنى" .. وفى الحال تغيّر سلوك الشاب! إذ أنّه طامأ رأسه ومضى فى طريقه والحزنُ يملأ قلبه .. لقد لمسَ الربّ يسوع نقطة حساسة من الحياة الشخصية لهذا الشاب وعلى الخصوص دائرة نشاطه المالى .. كان هذا الشاب مشغولاً بخدمة إله آخر وهو المال .. إن الربّ يسوع قال فى موعظته على الجبل المذكورة بإنجيل متى بالأصحاح السادس العدد الرابع والعشرين عن الإنسان إذا اتخذ المال هدفاً يسعى إليه ويعيش من أجله: "لا يقدر أحدٌ أن يخدم سيدين لأنّه إما أن يُبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر .. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" .. لقد فوجئ الشاب بحقيقة الصلاح فى نظر الله .. إنه يتحدّد بالموقف الذى يختاره الإنسان لنفسه .. والاتجاه الذى يتخذهُ ليعيش من أجله .. وليس مجرد أعمال يلزمه معرفتها ويكفيه تأديتها.^٢

إذا كان حقاً ما يعتقدونه أنه فى إمكاننا بذواتنا تحقيق خلاص نفوسنا .. وأن ذلك بمجرد أعمال صالحة يؤديها الإنسان .. فلماذا قبل يسوع المسيح أن يتحمّل العذاب الأليم على الصليب؟! لماذا لم يكتف بوضع وصايا وإرشادات نقوم بعملها حسب استطاعتنا وبعدها نصعد إلى السماء؟! لماذا؟! الإجابة: لأنّ الربّ يسوع يعرف أن أمر خلاصنا من خطايانا يتطلب أكثر من مجرد وصايا وتعاليم وإرشادات .. يعرف الربّ أنّه ليس ممكناً أن نحصل بذواتنا على خلاص لنفوسنا من خطايانا وتعدّياتنا .. لأننا نهمل طريق الوصول إلى الله.^٣

إنّ الله بتدبيره الصالح وبطريقته الخاصة وصل إلينا فى المسيح يسوع .. ولقد جاء بكل وضوح برسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس الأصحاح الأول عن خطة الله وتدبيره الصالح منذ الأزل لخلصنا فى تلك الآيات: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح .. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لتكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة .. إذ سبق فعيننا للتبني ببسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته .. لمذبح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب .. الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته .. التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة" .. تحمّل يسوع المسيح قصاص خطايانا .. تحمّل العقاب الذى نحن نستحقه بحدل .. وليس من طريقة تجعلنا أبراراً إلا أن نقبل خلاص من تنازل ليفتدينا وبذلك نشارك برّه .. إن يسوع المسيح نفسه يريدنا أن نحصل على خلاصه وبرّه بالإيمان بما عمله من أجلنا .. أوليس ذلك كافياً ليملاً قلوبنا سلاماً وبهجة؟. عزيزى القارئ .. إن الأخبار السارة هى أن برّ المسيح يُحسب لنا إن قبلنا خلاصه .. فهل نقبل؟^٤

ليتك أختي تشترك معى فى تلك الصلاة: أبانا السماوى .. أشكرك من أجل تدبيرك العجيب لخلصنا وتبريرى .. إذ أرسلت الابن الوحيد يسوع البار كى يتحمّل العذاب على الصليب ليفتدينى بدمه الطاهر .. ما أعظم حبك إلهى الذى أظهرته لى أنا غير المستحق .. ولكن فى استحقاق الدم الطاهر أتى إليك ربى فأقبلنى سيدي .. أرفع صلاتى فى اسم يسوع المسيح مخلصى .. واثقاً فى وعدك الصادق .. يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً ..

أختي القارئ العزيز .. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

وإن أردت سماع تلك الرسالة بالإنجليزية من Cliffe Knechtle ستجد ذلك فى:

<http://www.givemeananswer.org/main/home/index.html>

^١ إنجيل متى ١٩: ١٦ - ١٧

^٢ إنجيل متى ٦: ٢٤ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٢: ٨ - ٩

^٣ إنجيل يوحنا ١٤: ٥ - ٦

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ١: ٣ - ٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٣: ٢٠ - ٢٦